**المحاضرة السابعة: نظريات التعلم السلوكية**

**أولا: مفهوم التعلم:** إنّ التعلم هو تغير دائم في سلوك الإنسان، واكتساب مستمر لخبرات ومهارات جديدة، تؤدي بالضرورة إلى إدراك جديد ومعرفة عميقة للمحيط الطبيعي والاجتماعي الذي يعيش فيه الإنسان.

**ثانيا: شروط التعلم:** لقد حدّد العلماء شروط التعلم في:

النضج، الدافعية، التعزيز، الممارسة، طريقة التدريس، والوسائل التعليمية.

1. النضج: يقصد بالنضج درجة نمو معينة في بعض الأجهزة الداخلية في الكائن الحي (خاصة الجهاز العصبي).

والكائن الحي لا يستطيع أداء هذه الوظيفة إلاّ إذا وصل الجهاز الخاص بذلك إلى مستوى معين من النمو، هذا المستوى هو الذي يطلق عليه بالنضج.

1. الدافعية: هي الطاقات الكامنة في الكائن الحي التي تدفعه ليسلك سلوكًا معينًا في العالم الخارجي، كرغبة الطفل في تعلم القراءة، أو رغبة المتعلم في التعلم إرضاءًا لوالديه.
2. الممارسة: إنّ هناك علاقة عكسية بين النضج والممارسة، بمعنى كلما زاد النضج، كلما احتاج التعلم إلى القليل من الممارسة أيضا.
3. الاستعداد: يرتبط تهيؤ الطفل واستعداده لتعلم مهارة ما بالنمو العضوي والعاطفي والاجتماعي، تشكل كل هذه الجوانب مجتمعة أرضية الاستعداد في عملية التعلم؛ يمكن لنا أن نمثل لذلك بمهارة القراءة التي تبدو في الظاهر أنّها ترتبط بالعمر العقلي، لكنها في الواقع ترتكز على مجموعة من الأسس العضوية والنفسية والاجتماعية.
4. التكرار: ويتضح ذلك جليا في عملية تعليم اللغات؛ فاكتساب العادة اللسانية قائم أساسا على التكرار، تكرار التلفظ بمتوالية صوتية معينة، أو التلفظ ببنية تركيبية محدّدة إلى غير ذلك من مكونات النظام اللساني لدى المتعلم.

**ثالثا نظريات التعلم:**

تحتل نظريات التعلم مكان الصدارة لبن النظريات السيكولوجية، لأنّها أساس في فهم السلوك الخاص بالكائنات الحية؛ فأنماط السلوك التي تتبعها الكائنات الحية إما متعلّمة أو غير متعلّمة، ومن ثم يمكن القول بأن أغلبية أنماط السلوك الإنساني تخضع للتفسيرات التي تذهب إليها نظريات التعلم.

**أولا: النظرية السلوكية:** ظهرت السلوكية في بداية القران التاسع عشر وبداية القرن العشرين على يد العالم بافلوف الذي أجرى عددًا من التجارب على الحيوانات بهدف تحديد استجاباتها لمثيرات معينة قصد الوصول إلى نظرية عامة في التعلم لدى الحيوان. وقد استخلص بافلوف من هذه التجارب أنه يمكن التنبؤ باستجابة الحيوان وسلوكه من خلال التحكم في المثيرات الشرطية، واستنتج منها ما يعرف بقانون المثير والاستجابة، ثم تبع بافلوف في هذا الاتجاه مجموعة علماء النفس الأمريكيين منهم: "إدوارد ثورندايك، وواطسن الذي عمل على تطبيق نتائج هذه الدراسات على السلوك الإنساني، ويعدّ المؤسس الحقيقي للنظرية السلوكية، و(سكينر) الذي يعدّ أبرز أقطاب الاتجاه السلوكي.

**المبادئ الأساسية للنظرية السلوكية:**

* اعتبارها الإنسان شبيهًا بالآلة.
* اقتصارها على دراسة السلوك الخارجي للإنسان، لأن الإنسان عبارة عن علبة سوداء لا يستطيع دراسة سلوكه الداخلي.
* رفضها منهج الـتأمل الباطني( الاستبطان) والذي يعني ملاحظة ما يجري في الشعور من خبرات حسية أو عقلية أو انفعالية، وبالتالي العمل على وصفها وتحليلها.

أمّا أبرز فروع هذه النظرية نجدها عند بافلوف في نظرية الإشراط الكلاسيكي، وثورندايك في نظرية الارتباط( التعلم بالمحاولة والخطأ).

ترتبط هذه النظرية ارتباطا وثيقا بالعالم الأمريكي ثورندايك، وكان اهتمامه منصبا على قياس الذكاء عند الحيوان، حتى يستطيع أن يلقي ضوءًا على مشاكل الذكاء الإنساني.

ويرى ثورندايك، أنّ موضوع علم النفس هو دراسة السلوك دراسة علمية، وأنّ عملية التعلم عبارة عن تغير السلوك؛ فالسلوك عنده يبدأ على السطح الحسي للكائن الحي ثم ينتقل من الأطراف العصبية إلى المراكز العصبية، ثم يصل إلى الأعصاب المصدرة للمخ، وينتهي الأمر باستجابة معينة قد تكون ذهنية أو حركية.

وبذلك فهو يرى أنّ الحياة النفسية سلسلة من المثيرات والاستجابات البسيطة وللتحقق من افتراضاته، قام بعمل العديد من التجارب ومن أشهرها (تجربة ثورندايك) على القطط.

**تفسير ثورندايك للتعلم**: توصل ثورندايك من التجارب التي أجراها أنّ الحيوانات غير قادرة على العمليات العقلية العليا كالفهم، والاستبصار، وإنما تتعلم عن طريق المحاولة والخطأ، حيث تستبعد أثناء محاولات التعلم المتتالية الاستجابات الخاطئة، وتبقى الاستجابات الصحيحة التي توصلها للحل.

**قوانين التعلم الأساسية**: يرى ثورندايك أنّ هناك ثلاثة قوانين جوهرية تتحكم في التعلم بالمحاولة والخطأ وهي:

1. **قانون الاستعداد:** أي أنّ هذا القانون يتعلق بحالة المتلقي أثناء العملية التعلمية، فإذا لم يكن المتعلم مهيأ نفسيا للتلقي من أجل اكتساب الخبرة أو المهارة المقصودة، فإنّ التواصل بين المعلم والمتعلم سوف ينعدم؛ فعدم الاستعداد والتهيؤ العضوي والنفسي، قد يعوق عملية التعلم بالمحاولة والخطأ التي هي أساسا قائمة على تجاوز العوائق والصعوبات التي تعترض سبيل المتعلم.
2. **قانون التدريب (المران):** ومعناه (التكرار) فهو يعزّز التعلم، ويمكن استخدامه في مواقف معاني الكلمات في اللغات الأجنبية، وتعلم الأحداث التاريخية، إلاّ أنّ هناك نقدًا يوجه إلى هذا القانون، وذلك أنّ هناك استجابات كثيرة تتكرر كل يوم في حياتنا، ومع ذلك لا نتعلمها، فكثير من الاستجابات الفاشلة التي تكررها لا تزيد من قوتها، فالقط كان يكرّر عددًا من الاستجابات الخاطئة، قبل أن يعمل الاستجابات الصحيحة، وكان عدد تكرارها يزيد عن تكرار الاستجابة الصحيحة ومع ذلك تعلم القط الاستجابة الصحيحة، وأغفل الاستجابات الفاشلة، ولذلك وضع ثورندايك قانون الأثر.

**ج-قانون الأثر**: يرى ثورندايك أنّ التكرار الآلي، قد لا يؤدي إلى نتيجة عملية (تثير سلوك ما أو اكتساب خبرة جديدة) إذا لم يكلّل بالنجاح، ويدعم بالتعزيز المناسب

**نقد النظرية:** إنّ نظرية ثورندايك نظرية آلية تقوم على الارتباطات دون أن يكون هناك تفكيرًا أو استبصار، مما عرضه لهجوم الكثير من علماء النفس الجشطلت، فالإنسان لا يتعلم استجابات فقط، وإنمّا يدرك حقائق ويفهمها، كما أنّ العمليات العقلية المعقدة، كالتفكير والاستدلال، عمليات ضرورية لحدوث التعلم، لا يمكن تفسيرها في ضوء مفاهيم النظريات الارتباطية التي تعد المتعلم عنصرًا سلبيا في العملية التعلمية مهمته لا تتعدى الحفظ والاستظهار.